مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص - أفريل2022 ص ص: 26-46
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

علم التاريخ ومجال المعرفة التاريخية وموقف المؤرخين منهما

ابن خلدون أنموذجا

The science of history and the field of historical knowledge
And the perception of historians towards them
Ibn Khaldoun as model

صابة محمد♦، جامعة تيارت

saba.mohammed63@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/02/09 تاريخ القبول: 2022/04/18 تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص: أثار علم التاريخ منذ النصف الأول من القرن العشرين، قضايا ترتبط بمجالات معرفية تاريخية، فأضحى إخراج النّص التاريخي يستلزم الإستعانة بالعلوم المختلفة أو ما يعبر عنه بالعلوم المساعدة، وبدونها لا يمكن للمؤرخ الالتزام بالشروط الموضوعية والعلمية في إخراج النّص التاريخي.

ويبقى هذا الطرح في كتابة النّص التاريخي ليس وليد القرنين الماضيين، بل هو طرح قديم في ثوب جديد. فقد أثار العلاّمة ابن خلدون في مقدمته وقبله المسعودي مساوئ ونقائص التدوين التاريخي أو إخراج النّص التاريخي عند المؤرخين القدماء، فتساءل كثيرا المسعودي من خلال كتابه-مروج الذهب ومعادن الجوهر-حول ظاهرة المبالغة في تضخيم الأعداد واستعمال الخيال الذي طبع بعض الكتابات التاريخية. أما العلامة ابن خلدون فعاب على المؤرخين القدماء الإخبار دون تبصّر وغياب الربط بين الحاضر وماضيه، إضافة إلى تسجيله ضعف التّحري حول صدق أو كذب وقوع الحادثة التاريخية، كما أنّه أشار إلى أنّ طبيعة العلاقة بين المؤرخ والسلطة القائمة قد يتسبب في ضياع الحقيقة التاريخية. لذلك كلّه؛ وجب استقلال كاتب النّص التاريخي عن توجيه وضغط السلطة القائمة وعن النوازع الذاتية حتى لا يبقى النّص التاريخي جامدا يطبعه أسلوب النقل والإخبار، وأن يبقى دون تمحيص وإثراء من قبل العلوم المختلفة والمساعدة، والتي بإمكانها إضافة وإعطاء مصداقية كافية في كتابة النص التاريخي.

♦ المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: التاريخ،العلوم المساعدة، ابن خلدون، المسعودي، السلطة.

Abstract : The science of history and the field of historical knowledge and the perception of historians towards them (IbnKhaldoun as model).

Since the first half of the twentieth century, the science of history has raised cognitive issues related to historical fields of knowledge, as the production of the historical text became dependent on interdisciplinary sciences, or what is known as "auxiliary sciences." Without them, the historian cannot abide by the objective and scientific conditions in producing the historical text.

This proposition in writing the historical text is not a product of the past two centuries, but rather it is an old proposition in a new attire. Whereby the scholar IbnKhaldun, in his introduction and before him, Al-Masoudi shed light on the disadvantages and shortcomings of the historical notation or the production of the historical text by ancient historians, Wherein Al-Masoudi questioned many things through his book - Meadows of Gold and Minerals of Essence - about the phenomenon of exaggerating, the hyperbole of numbers and the use of imagination that branded some historical writings.

As for the scholar IbnKhaldun, the ancient historians failed to inform without insight and without a link between the present and its past, in addition he also recorder the weaknesses in the investigations of the truth or falsehood of the occurrence of the historical incident, and he also pointed that the nature of the relationship between the historian and the existing authority may have caused the historical truth to be lost.

As such, the writer of the historical text must be independent from the guidance and pressure of the existing authority so that the historical text does not remain static and imprinted by the method of transmission and reporting, and without scrutiny and enrichment by

the interdisciplinary and auxiliary sciences, which can add and give sufficient credibility in writing the historical text.

مقدمة:

شكّل علم التاريخ مجالا لإثارة عدة قضايا معرفية ترتبط بمجالات معرفية تاريخية، وفي هذا المجال أصبحت الكتابة التاريخية منذ النصف الأول من القرن العشرين أكثر طلبا للعلوم المساعدة، الأمر الذي يفرض على المؤرخ تنويع مجالاته المعرفية التاريخية. فطلب الموضوعية والبحث من أجل الوصول إلى حقيقة الأحداث التاريخية، كل ذلك لا يمكن تحقيقه دون الاستعانة بالحقول المعرفية الأخرى والتي يطلق عليها العلوم المساعدة أو العلوم المرافقة. فالاستعانة بهذه العلوم يمكّن كاتب النّص التاريخي من الوصول إلى الوثائق التاريخية، بغية الاقتراب لتمثيل الوقائع التاريخية ولو نسبيا، ومن أجل ذلك نطرح التساؤلات التالية:

- ما هو مفهوم المعرفة التاريخية؟ - ما هي طبيعة المعرفة التاريخية؟ - ما هو موقف المؤرخين القدماء من العلوم المساعدة؟ -أسس المعرفة التاريخية عند ابن خلدون؟ -أهم العلوم الداعمة لمجال المعرفة التاريخية؟

1-مفهوم المعرفة التاريخية:

2/1-مفهوم التاريخ خارج التعاريف التقليدية:

يكمن التمييز من الناحية الإبستومولوجية بين منهجين في تحديد مصطلح التاريخ:

- **المستوى الأول:** التاريخ نعني به تسجيل الأحداث التاريخية للماضي البشري وتدوينه كما وقعت بالفعل، وهذا ما يمكن أن نسمّيه التأريخ؛ كأحداث وهو من هذه الناحية مرتبط بالإستوغرافية أي علم كتابة التاريخ[1]. وتسجيل الأحداث التاريخية كما وقعت، يبقى أمرا صعبا إن لم يبق مستحيلا، لكن تسجيلها يبقى في كل الأحوال تقريبي ونسبي.

1-طريف الخالدي، بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1982م، ص: 7.

- **المستوى الثاني:** ونعني به معرفتنا ووعينا بهذه الأحداث وهذا ما يمكن أن نطلق عليه التاريخ؛ كمعرفة يحمل على المستوى الابستمولوجي والمعرفي معنين: كتابة وتدوين أحداث الماضي البشري من جهة ومعرفتنا ووعينا بهذه الأحداث من جهة أخرى[2].

فالتاريخ والتأريخ كلمتان يلفهما الغموض في لغات عديدة، بما في ذلك اللغة العربية. ومصدر هذا الغموض واحد في جميع الحالات؛ إذ أنّ لفظة "**التاريخ**" تدلّ على العلم وعلى مادّة العلم في آن واحد، وهذا لا ينطبق لأول وهلة على العلوم الأخرى؛ فنحن نميز مثلا وبوضوح بين الإقتصاد وعلم الاقتصاد. لكن لفظة التاريخ تعني حوادث الماضي كما تعني أيضا العلم بهذه الحوادث. ولمنع هذا الالتباس عمدت بعض اللغات إلى التمييز بين هاتين اللفظين، فأطلقت العربية لفظة التاريخ على العلم بالحوادث حتى ينفرد العلم عن مادته والعكس[3].

فهل التاريخ حقل من حقول المعرفة التي يختلط فيها العالم مع المعلوم؟ هل نحن هنا أمام مشكلة فلسفية أم مشكلة لفظية تحل نفسها بالاصطلاح؟ فأفلاطون ينظر إلى التاريخ؛ أنّ من خصائصه خاصية التغيّر. فالتاريخ عنده مجرد الزمن، والزمن هو التبدّل والتغيّر. لذا ففي الفلسفة اليونانية نجد أنّ التاريخ يحتل مرتبة وضيعة بين العلوم، إذ كيف لنا أن نجعل من التبدّل والتغيّر علما؟ فالتبدّل والتغيّر لا يمثل الحقيقة، فهي ثابتة لا تتغير ولا تتبدّل[4].

هذا النقد الأساسي الذي وجهه فلاسفة اليونان إلى التاريخ، لايزال بشكل أو بآخر يشغل الباحثين في يومنا الحاضر. فلايزال التاريخ يُتَّهم بأنّه لا يعدو كونه دعاية لفرد أو أمة أو مبدأ. ومنه فالتاريخ يُعيق الإنسان عن النّظر إلى الواقع بموضوعية. وهذه الإتهامات تزداد كلما اطلع الإنسان العادي على آراء المؤرخين أنفسهم. يقول المؤرخ الهولندي المعاصر بيتر خيل: "التاريخ جدال فلسفي لاينته"[5].

وما يلفت الانتباه من خلال هذا الطرح أنّه يحوز جزءا من الحقيقة؛ فلايزال التاريخ أو كتابة النّص التاريخي يُكتَب أحيانا بإيعاز من السلطة الوطنية مُغلَّفا بثوب الوطنية، مبررا بعض الأخطاء أو ضاربا الصفح عنها. فقد كان بالإمكان عرض الحدث التاريخي وتحليل أبعاده. فمثلا: إلقاء كل المسؤولية على الحركة الاستعمارية على أنّها حركة لا إنسانية ولا

2- طريف الخالدي، بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه، ص: 8.
3- المرجع نفسه، ص: 8.
4- نفسه، ص: 8.
5-نفسه، ص: 9.

حضارية-فعلا هذا حكم موضوعي-لكن لما لا نحمّل الأجداد جزءا من المسؤولية التاريخية، ذلك أنّهم لم يواكبوا التطوّر الحاصل يومها ولم ينسجوا استراتيجيات للحد من هذا التوسع الاستعماري، وأنّ بعض الحكام والقادة تنازلوا من خلال بعض المعاهدات عن أجزاء من الأرض والوطن ؟

ومن التحديات الأخرى أيضا؛ التحديات الصادرة عن العلوم الاجتماعية وخصوصا عن علميّ الإنسان (أنثروبولوجيا) والمجتمع (سيسيولوجيا). وقد نتج عن ذلك ظهور بعض المدارس في الفكر الاجتماعي وتحديدا في القرن العشرين تطرح كلها نظريات المعرفة قد نسميها لا تاريخية أو معادية صراحة للتاريخ.

وكثيرا ما يؤدي ذلك إلى تجاهل للتاريخ وازدراء له[6]، حيث نلمسه في الدور الهزيل في البرامج الدراسية وكيفية تعليمه على المستوى الثانوي في مدارسنا. ويكفي أن نذكر أنّ بعض البرامج الخاصة بثورتنا المباركة، لا يشار فيها ولا من خلالها إلى بعض المفاصل الحقيقة، أولا يعلم واضعوا تلك البرامج أنّ ذلك يشكل خطأ معرفيا يجعل الطالب يطلب الحقيقة من غير مصادرها ويطلبها من المصادر المظنونة ؟

فالعداء للتاريخ أو سوء استعماله، قد يزداد مقارنة بالعلوم الأخرى، فالعلوم الأخرى الطبيعية تتفجّر بالنظريات الجديدة يوما بعد يوم، أمّا التاريخ فلعلّه من أبطأ العلوم تقدما على المستوى النّظري. ودليل ذلك عندنا في الوطن العربي، الجزائر مثالا؛ كثيرا ما تعرف المناهج الدراسية على جميع المستويات كثيرا من ندوات ومنتديات التغيير المستمر لهذه البرامج، حتى أضحى المعلم أو الأستاذ نفسه لا يعرف بما يلتزم. وهاك دليلا آخر؛ ففي الآونة الأخيرة فيه دعوة رسمية لتغيير نظام ل.م.د، واحتمالية العودة إلى المناهج السابقة بما فيها من سلبيات، ولحد كتابة هذه السطور لم يستقر حال على حال. ومحاولة منّا توضيح الرؤية في هذا المجال، وجب تحديد مفهوم بعض المصطلحات:

2-مفهوم المعرفة:

عرّفها ابن منظور بقوله: "عَرَفْتُ زيدا، ونقول: عرف لأن الشيء لا عارف وربّما وضعوا اعترف موضع عرف، وقد تعارف القوم أي عرف القوم بعضهم بعضا"[7]. وجاء في موسوعة "مصطلحات جامع العلوم": إدراك الأمر الجزئي أو البسيط مطلقا، أي عن دليل

6- طريف الخالدي، بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه، ص: 11.

7- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999م، ج3، ص ص : 153 و 154.

أولا. كما أنّ العلم إدراك الكلي للجزئيات أو المركب، ولهذا يقال عرفت الله ولا يقال عَلَمْتُ الله ولهذا فُسّرت المعرفة بإدراك الجزئيات عن دليل كما أنّه لا يقال يعرف الله بل يقال يعلم الله لأنّ المعرفة تستعمل في العلم الموصوف بتفكّر وتدبّر، أيضا لم يطلقوا لفظ المعرفة على اعتقاد المقلّد لأنّه ليس له معرفة على دليل.[8] إذا كان هذا مفهوم المعرفة، فما هم مفهوم:

3-طبيعة المعرفة التاريخية ومجالاتها:

إنّ المعرفة التاريخية في تنوعها، مرتبط بطبيعة الأجهزة الثقافية والسياسية والاجتماعية، التي تباشر عملية التربية والتلقين والحفظ. وبما أنّ هذه الأجهزة تحمل في داخلها الكثير من الانقسام والتعدّد جغرافيا، بين المغلق عقائديا لهذه الطائفة أو تلك، وبين المُوَجَّه معرفيا نحو غايات وأساليب وطرق معينة للتربية. وتعتمد على الانتقاء والإخفاء، وفقا لما يوافق جهاز الدولة المعرفي، دون وجود قواعد تربوية تتّسم بالمرونة والحياد والحرية في تتبّع المعرفة العلمية حول التاريخ[9].

فسياق تداول المعرفة التاريخية في الأزمنة الراهنة محجوزة ضمن حدود التفسيرات الضّيقة والموروثة لدى هذه الطائفة أو تلك، بسبب الاعتماد المتبادل على الثوابت المطلقة للمصادر الثقافية الموروثة، والتي عادة ما يهيمن عليها مجموعة عناصر مرتبطة بالنقل والتقديس والجمود العقائدي، وغياب الرؤية النقدية والانفتاح على التجارب الحديثة.

وقد أضحت الكتابة التاريخية منذ النّصف الأول من القرن العشرين أكثر طلبا للعلوم المساعدة، الأمر الذي يفرض على المؤرخ تنويع مجالاته المعرفية التاريخية. فالاستعانة بهذه العلوم يمكّنه من الوصول إلى الوثائق وتفسير وتحليل الظواهر، ومنه الوصول أو الاقتراب من الحقيقة التاريخية ولو نسبيا. فطلب الموضوعية والوصول إلى الحقيقة التاريخية لا يمكن دون الاستعانة بالحقول المعرفية الأخرى أو ما يعرف بالعلوم المساعدة. فكتابة النّص التاريخي يُلزم المؤرخ التسلّح بشتّى المعارف والتّقنيات التي تساعده على كتابة وإخراج النّص التاريخي في ثوب جيد. فهناك تساؤلات حول علاقة علم

8-عبد النبي عبد الرسول، الأحمد نكري، موسوعة مصطلحات جامع العلوم، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997م، ص: 863.

9-وليد المسعودي، مقدمة حول المعرفة التاريخية، الحوار المتمدن، العدد: 4515، 2014/7/17م. 2021/05/13م.

التاريخ بالعلوم الإنسانية: فضمن أي شروط تكون المعرفة التاريخية كمعرفة علمية؟ وكيف يمكن للمعرفة التاريخية أن تستفيد من الحادث التاريخي بكل أبعاده؟ وهي تساؤلات كثيرا ما طرحها الفيلسوف الفرنسي "بول ريكور".

والجواب على التساؤل، يكمن في تتبّع موقف المؤرخين القدماء من هذه العلوم.

4-موقف المؤرخين القدماء من العلوم المساعدة:

اهتمت قلّة قليلة من المؤرخين بالأمور الفلسفية والنظرية أو العلوم المساعدة لتفسير الأحداث التاريخية. ففي صدر الإسلام كانوا في أغلبهم يكتبون تحت ظلال النظرة الدينية للتّاريخ، أي أنّ للتاريخ مغزى ومعنى وليس أحداثا عشوائية متضاربة. ولم يكونوا جميعهم على نفس الدرجة من الاهتمام بمعنى المعرفة التاريخية، فبعضهم كان يكتفي بمنهجية الحديث فيما يختص بتقييم الخبر التاريخي، أي يكتفي بمنهجية المتن والسند وبمنهجية الجرح والتعديل[10]. ويبقى هذا المنهاج في كتابة التاريخ طبيعيا وعاديا، إذا ما عرفنا أنّ الطابع الغالب على الكتابة التاريخية خلال القرن الأول والثاني الهجريين هو كتابة السّير الذي يلزم كاتبه الالتزام بتحديد السند دون نقد المتن في الغالب، ودليله:

1/4-موقف الطبري:

فالطبري ذكر مصادر أخباره وسمّى رُواتَها لنكون من أمرهم على بيّنة، وقال في آخر مقدمته :" فما يكون في كتابي هذا من خبر يستنكر قارئه من أجل أنّه لم يعرف له وجها في الصحة فليعلم أنّه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنّما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا...، ويقول أيضا: وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره ...هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رُواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير...دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس[11]...ثم يقول...إنّما نعتمد في معظم ما نرسمه في كتابنا هذا على الآثار والأخبار عن نبينا ﷺ وعن السلف الصالحين قبلنا دون الاستخراج بالعقول

10- طريف الخالدي، المرجع السابق، ص: 31.

11- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: دي خويه (لايدن، أبريل، 1879- 1901م) السلسلة الأولى، ص: 6. ينظر: ابن العربي أبي بكر المالكي، العواصم من القواصم، تح: محب الدين الخطيب، القاهرة: مكتبة السنّة الدار السلفية لنشر العلم، ط6، 1412هـ، ص: 260. بتصرف.

والفكر، إذ أكثره خبر عما مضى من الأمور، وعمّا هو كائن من الأحداث، وذلك غير مدرك علمه بالاستنباط والاستخراج بالعقول"[12].

ويربط الطبري ما بين التأريخ والحديث من جهة الأسلوب وتمحيص الأخبار، فصحة النقل عنده هي التي تكفل صحة الخبر. أمّا الخبر الذي يستشنعه العقل فإنّه يُروي على ذمّة راويه لا على ذمّة المؤرخ. وهذا الرأي يجعل من المؤرخ جامعا للأخبار إلاّ فيما نذر. وقبل أن نتّهم الطبري بأنّه سلب المؤرخ عقله يجدر بنا أن نتذكّر أنّ قلّة قليلة من المؤرخين في كافة الأمكنة والعصور هي التي التفتت بجدّ إلى نظرية المعرفة وإلى الأمور النّظرية التي يثيرها التأريخ[13].لكن هناك قلّة من المؤرخين في صدر الإسلام اهتمت بمشكلة المعرفة التاريخية، نذكر منهم:

2/4-موقف المسعودي:

ولنقارن مثلا ما سمعناه من الطبري بما يقوله المسعودي: "حتى صنّفنا كتبنا من ضروب المقالات، وأنواع الديانات ...وما اشتمل عليه من أصول الفتوى وقوانين الأحكام...وما أتت به الأخبار من الاستفاضة والآمان...ووصف أقاويل الناس في ذلك من أصحاب النّص والاختيار وما احتواه ذلك، مع سائر كتبنا في ضروب علم الظواهر والبواطن والجلي والخفي والدائر والوافر[14]...وقد ألّف الناس كتبا في التاريخ والأخبار ممّن سلف وخلف، فأصاب البعض وأخطأ البعض، وكل اجتهد بغاية إمكانه، وأظهر مكنون جوهر فطنته: كوهب بن منية، ومحمّد بن إسحاق، والواقدي، وابن الكلبي...[15]، أما رأيه في الطبري فيذكره في ما يلي:...وأمّا تاريخ محمّد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات، والزائد على الكتب، فقد جمع أنواع الأخبار، وحوى فنون الآثار، واشتمل عل صنوف العلم...".

فإن امتدح المسعودي الإمام الطبري، فقد انتقد ثابت بن قرة بقوله: ورأيت سنان بن ثابت بن القرن الحرانى، حين انتحل ما ليس من صناعته واستنهج ما ليس من طريقته ...ثم خرج إلى أخبار يزعم أنّها صّحت عنده ولم يشاهدها...وتكلّف ما ليس من

12- المصدر نفسه، ص: 56. بتصرف.

13-طريف الخالدي، المرجع السابق، ص: 32.

14-المسعودي أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، محمّد محي الدين عبد الحميد، لبنان، دار الفكر، ط5، 1393ه/1973م، ص ص: 11. بتصرف.

15- المصدر نفسه، ص 12. بتصرف.

مهنته... ثم هو يؤكد أسلوبه في دعم أخباره بأنواع من العلوم بقوله: ولم نترك نوعا من العلوم، ولا فنا من الأخبار، ولا طريقة من الآثار، إلا أوردناه في هذا الكتاب-مروج الذهب، ومعادن الجوهر- منفصلا أو ذكرناه مجملا..."[16]

فالمسعودي؛ يشترط التأريخ إلاّلما هو في حيز الممكن البعيد عن الخيال والتخيل، معتدا في صحة الأخبار ما كان منقولا عن طريق الأفراد الثقاة والآحاد. والدلائل هذه عند المسعودي تأتي عن طريق البحث والنّظر والفحص ومعرفة العادات والسّنن الطبيعية، فالمؤرخ عليه أن يستخدم في هذا البحث علوم عصره وجيله، وهكذا أدخل المسعودي وأمثاله العلوم العقلية من فلسفة وطبيعية إلى حيّز التاريخ[17]. والمسعودي يشهد له بما ذكر واشترط في كتابة التاريخ قول ابن خلدون: "... والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخّرة، هم قليلون...والمسعودي وغيرهم من المشاهير..."[18]. فإن كان هذا نهج المسعودي، فما موقف ابن خلدون ؟

3/4-موقف ابن خلدون:

قال العلامة عبد الرحمان ابن خلدون، منتقدا الكتابات التاريخية السابقة:"... إن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها ...وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل ووهموا فيها وابتدعوها. وزخارف من الروايات المضعّفة لفّقوها ووضعوها وأدّوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، ... والتطفل على الفنون عريض طويل... ولمّا كان الكذب متطرقا إلى الخبر بطبيعته، وله أسباب تقتضيه ومنها التشيعات للآراء وللمذاهب...أعطته حقّه في التمحيص حتى يتبيّن صدقه من كذبه"[19]. فابن خلدون سبق غيره في انتقاد من سبقه من المؤرخين من حيث:

- نقلهم للأخبار دون تبصّر ودون اعتبار للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتي لها الدور الكبير في تبلور الحادث التاريخي، وما الواقعة التاريخية في

16-نفسه، ص ص: 11 و12 و18. بتصرف.

4 -طريف الخالدي، المرجع السابق، .33

5-عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر، بيروت : دار ابن حزم، ط1، 1432ه/2011م، مج 1، ص : 8. بتصرف.

19-عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، القاهرة: دار الشعب، د ط، 1950م، ص:7 . بتصرف.

الأصل إلاّ ترجمة عملية للجانب النّظري والذي تعكسه الأطر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

- عدم ربط الحدث الحاضر بماضيه حيث يسهل فهم الواقعة التاريخية في حدود تأثيراتها ومؤثراتها؛ فلا يمكن فهم الصراع السنّي الشيعي اليوم إلا من خلال الرجوع إلى أصل الخلاف والاختلاف بين المذهبين تاريخيا، أو الحرب الدائرة بأكرانيا إلاّ بالعودة إلى تاريخ تأسيس الاتحاد السوفياتي سابقا.

- عدم تأكد المؤرخين السابقين باستثناء البعض من أمثال المسعودي من صدق أو كذب وقوع الحادثة التاريخية ويتأكد ذلك من خلال المبالغة في العدد أو اعتماد الخرافة في شكل حادث تاريخي مغلف ومبطن بالغلاف الديني يقول ابن خلدون:"...ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر...ولابدّ من ردّها إلى الأصول وعرضها على القواعد، وهذا كما نقل المسعودي..."[20].

-التحيز الذي يبديه المؤرخ أثناء تسجيله للحوادث التاريخية لمذهبه وحزبه وتغليب الذاتية على الحقيقة التاريخية، فهو انتقد طبيعة علاقة المؤرخ بالسلطة القائمة. فكلّما كان المؤرخ مقربا من السلطة، ضاعت معه الحقيقة التاريخية بسبب خدمة ذوي السيادة والسلطان، يقول ابن خلدون:"... واقتصر على تاريخ دولته ومصره، كما فعل أبو حيان، مؤرخ الأندلس والدولة الأمويةبها، وابن الرفيق مؤرخ إفريقية والدولة التي كانت بالقيروان...ثمّ جاء آخرون وذهبوا إلى الإكتفاء بأسماء الملوك والأمصار...كما فعل ابن رشيق في ميزان العمل ..." [21].

فابن خلدون يرى من خلال كل ما سبق؛ أنّ التاريخ ليس مجرد نقل أو حَكْي لأخبار من سبقنا من الأمم والمجتمعات، بل هو علم دقيق قويم البناء أساسه المعارف والعلوم، فكلّ العلوم تساهم في تكوين المعرفة التاريخية من أجل تحقيق معرفة تاريخية يقينية واعية بالأحداث الماضية، وفي هذا يقول العلامة:"... اعلم أنّ هذا الفن ...محتاج إلى مآخذ متعدّدة، ومعارف متنوعة..."[22].

ففي سياق تمييز العلوم العقلية والشرعية، أكّد ابن خلدون أنّ التاريخ هو علم مستقل بذاته غير ملحق بالعلوم الشرعية، كما كان شأنه في تصنيفات العلوم التي قدّمها قبله بعض فلاسفة الإسلام. لذلك قام ابن خلدون بتحديد ما يجب أن يقوم عليه التاريخ

20-ابن خلدون ، المقدمة، ص: 12. بتصرف.

21- ابن خلدون، العبر، ص: 8. بتصرف.

22-المصدر نفسه، ص: 12. بتصرف.

من أسس وفي ذلك يقول: "أما بعد فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتُشدّ إليها الركائب والرحال، وتسموا إلى معرفته السوقة والأغفال...، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق... جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياساتهم، حتى تتمّ فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا"[23]. ولفهم ما ذهب إليه العلامة ابن خلدون وجب التعرف على:

5-أسس المعرفة التاريخية عند ابن خلدون:

أما بخصوص أسسه فيؤكد أنّ المعرفة التاريخية ليست مجرد رواية وسرد للأخبار، أما في باطنه فهو نظر (عقلي) وتحقيق، وتعليل، وعلم بكيفية حدوث الوقائع، وفي هذا يقول:"...فن التاريخ...في باطنه نظر تحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأنْ يُعدّ في علومها وخليق ..."[24].فهو ينتصر لباطن التاريخ ، لأنّه هو ما يجعل منه علما، وهو يؤكد على ضرورة إعمال العقل لا النقل وحده بسبب ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل، فقد وقعوا في المغالط والأخطاء التي لا يتحملها لا العقل ولا المنطق، لاعتمادهم على مجرد النقل.

ولأنهم لم يعرضوا الوقائع على أصولها. ولم يحكموا النظر ولا البصيرة في الأخبار وهو يقدم في ذلك أمثلة فيما ظل فيه من سبقه من المؤرخين من إحصاء وأعداد من الأموال والجند[25]، فهو يصرح:"... إنّ فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وسمعوها... وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها[26].ثم يضيف: ...ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترّهات الأحاديث ولا دفعوها. فالتحقيق قليل. وطريقه في الغالب قليل وهذا كما نقل المسعودي -يقصد نقد المسعودي لمثل هذه الأعداد-وكثير من المؤرخين..."[27].

23-نفسه، ص: 8 . بتصرف.

24- ابن خلدون، العبر، ص: 7.

25- محمّد المغراوي، المعرفة التاريخية، فيلو كلوب نادي الفلسفة، 2021/05/14م.

26- ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 7. بتصرف.

5- ابن خلدون، المقدمة، ص: .12

فابن خلدون ينظر إلى المعرفة التاريخية على أنّها معرفة يجب أن تعتمد على العقل، والتمحيص والتعليل لكي تسمو إلى مرتبة العلوم العقلية، وأن لا يعتمد فيها على مجرد النقل وفي هذا يقول ابن خلدون:" وكثرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين ...لاعتمادهم على مجرد النقل غثّا وسمينا، ولم يعرضوها على أصولها...فقد زلّت أقدام من الثبات والمؤرخين والحفاظ من مثل هذه الأحاديث والآراء...حتى سار فن التاريخ واهيا...فلذا يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجود اتو اختلاف الأمم...والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال..."[28].

فالمعرفة التاريخية يمكن أن تكون كذلك، شرط أن يعتمد المؤرخ على منهج صارم يخلصها من كل ما لا يعتبر من التاريخ، فيصبح التاريخ معرفة علمية مكونة من الماضي، فابن خلدون يرى أن الأحداث التاريخية لا تحدث بمحض الصدف أو بسبب قوى خارجية مجهولة، بل نتيجة عوامل كامنة داخل المجتمعات الإنسانية.[29]فهو يسجل: «فعلم التاريخ، فإنّ ظاهره لا يزيد عن أنّه أخبار حدثت في الماضي، فهو في باطنه نظر وتحقيق وتعليل دقيق للأحداث وعلم بكيفية حدوث الوقائع وأسبابها الموضوعية عميق"[30]، فهو يؤكد من خلال ذلك ويدلل على أنّ التاريخ ليس عملا بسيطا، بل يفرض الإلمام بعلوم ومعارف ذات صلة بالمعتقدات والعادات والطقوس والتقاليد ومؤثراتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي هذا يقول:" اعلم أنّ فن التاريخ ...محتاج إلى معارف متنوعة، وحسن نظر وتثبّت..."[31]، فمن أجل كل ذلك، اعتبر ابن خلدون علم التاريخ ضمن علوم الفلسفة.

إذا لقد نقلنا ابن خلدون من التاريخ إلى ما وراء التاريخ، فالتاريخ لا يُعرف على حقيقته إلا بالاستعانة بالعلوم المساعدة الأخرى كالبيئة(أو العمران) التي يتحرك فيها. واكتشاف البيئة البشرية يؤدي إلى اكتشاف المؤثرات الخفية التي تتحكم بمسيرة التاريخ، فهو يقول:" إعلم أنّ فن التاريخ فن عزيز المذهب... فهو محتاج إلى مآخذ متعدّدة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبّت يُفيضان بصاحبها إلى الحق... لأنّ الأخبار إذ اعتُمد

6-المصدر نفسه، ص: 12. بتصرف.

29- هنري إنري مارو، التاريخ معرفة تاريخية بالماضي الإنساني. ينظر: محمّد المغراوي، المعرفة التاريخية، فيلو كلوب نادي الفلسفة، 2021/05/14م.

30- ابن خلدون، العبر، ص: 8.

31- نفسه، ص: 11. بتصرف.

فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني".[32]

ثمّ يضيف :"وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين والأئمة كثيرا من المغالط... لاعتمادهم عل مجرد النقل غثّا وسمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها على أشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبيعة الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار...لاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر..."[33]،وهذه في الواقع نظرية أو فلسفة في التاريخ استقاها ابن خلدون من خارج التاريخ، من علوم شتى نلمس فيها بوضوح أثر الفلسفة والعلوم اليونانية وأثر الشريعة الإسلامية وأثر الاهتمام الشديد بالتاريخ المقارن وبالعلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[34].

فالمؤرخ حسب قول ابن خلدون يحتاج :" ...إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاء والأعصار في السّير والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثله ما بينه وبين الغائب من الوفاق، و بيّن ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على أصول الدول والملل ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها ودواعي كونْها وأحوال القائمين بها وإخبارهم حتى يكون مستوعبا لأسباب كل خبره وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا، وإلا زيّفه واستغنى عنه"[35].

6-العلوم المساعدة الداعمة لمجال المعرفة التاريخية:

ابتداء لابد أن نشير إلى أن هذه العلوم المساعدة رغم توظيفها في كتابة النّص، إلا أنّها تظل تحتفظ باستقلاليتها المنهجية والبنيوية وميادينها البحثية الخاصة[36]. وبالمقابل تظل المّادة التاريخية في خضم هذا التداخل المعرفي تحتفظ باستقلاليتها ومناهجها الصارمة والدقيقة، الأمر الذي يضاعف من مجهودات المؤرخ، فيفرض عليه

32- ابن خلدون، العبر، ص: 11.

33- نفسه، ص: 11. بتصرف.

34- طريف خالدي، المرجع السابق، ص: 37.

35- ابن خلدون، المصدر السابق، ص:24 .

36- شيماء الهكار، المعرفة التاريخية والعلوم الإجتماعية: امتدادات وتقاطعات، مجلة الإصلاح، منتدى الفارابي للدراسات والبدائل، 2013م، ص: 1. الإطلاع 2012/05/01م.

طوال كتابة النص التاريخي وإخراجه متيقظا محافظا على استقلال مادته التاريخية، في الوقت الذي يظل مستعينا بالعلوم المساعدة.

ممّا سبق يتأكد أن هذه العلوم المساعدة تفرض نفسها على المؤرخ للاستعانة بها مع الإبقاء على استقلاليته من حيث المحافظة على المناهج التاريخية، كما تفرض عليه الالتزام بقواعد الكتابة التاريخية. وهذا الذي أكده ابن خلدون في قوله:" إن فن التاريخ محتاج إلى مآخذ ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبّت يُفْضِيَانِ يصاحبها إلى الحق ويُنَكبّآنِ به عن المزلّآت والمغالط "[37].

فقد كانت بداية التوسع في الأخذ بالعلوم المساعدة والدعوة إلى ذلك والتنظير له؛ مع مدرسة الحوليات، والذي أصبحت موضوعات الكتابة التاريخية منفتحة على مجالات جديدة، وباتت العلوم المساعدة من الأدوات الأساسية في الكتابة التاريخية، لدرجة أن الحوليات وصلت لمرحلة وصفها فرانسوا دوس بدقة قائلا:" لقد نجحت الحوليّات في حشد العلوم الإنسانية تحت رايتها"[38].

فكل هذه العلوم المستعان بها في إخراج النص التاريخي، تبقى مجرد وسيلة يستعين بها المؤرخ للوصول أو الاقتراب من الحقيقة التاريخية، ويهدف عبرها من أجل تدوين نصا تاريخيا يستند على تنوّع في مادته المصدرية، والتي تمنحه مصداقية وتوازنا علميا تساعده على التفسير والتحليل للمادة التاريخية المتاحة، في حدود الشروط العلمية والموضوعية المحددة. فكل هذه العلوم المساعدة أو المشاركة في الكتابة التاريخية تتقاطع بطريقة أو بأخرى مع علم التاريخ، فالمؤرخ يوظف ميادين معرفية لا تنتمي بالضرورة إلى تخصصه. ومن هذه العلوم المساعدة:

1/6-علم دراسة النقوشEPIGRAPHIE : وهو علم يعنى بدراسة المخلفات المادية المنقوشة بالكتابة على دعائم صلبة. ويعتبر هذا العلم أحد العلوم المساعدة لعلم التاريخ، فهو يساعد في فك رموز الوثائق المادية[39].

37-ابن خلدون، المقدمة، ص:12.

38- فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمّد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009م، ص 93.

39- شيماء الهكار، المرجع السابق، ص: 1.

2/6-علم المستندات القديمة: وهو علم دراسة شكل العقود المكتوبة ومضمونها بغرض نقدها، والحكم على جدّيتها، وتحديد نصوصها من خلال استغلال كل العناصر من قبل المؤرخ، كاللغة المستعملة.

3/6- علم الأنثروبولوجيا التاريخية:

تعد امتدادا مباشرا لعلم التاريخ بحيث أنّ كل الموضوعات التي تتطرق إليها تنتمي إلى فروع أخرى من التاريخ، مثل: تاريخ العادات الغذائية، وأنواع المساكن...والمعتقدات والثقافة الفلكلورية وهي موضوعات بدأت مع الاهتمام الكبير الذي سلّطه روّاد الحوليات في مجلتهم على الظواهر الاقتصادية والاجتماعية[40].

4/6-علم الأنساب[GENEALOGIE]:هو علم يفيد في دراسة التاريخ الاجتماعي، حيث يمد المؤرخ بأصول وتطورات الأفراد[41].

5/6-علم **الأعلام والرّايات [VEXILOGIE].**

6/6-علم الأختام، وعلم الأرشيف[SIGILLOGRAPHIE].

7/6-اتصال المؤرخ بعلم الاقتصاد:

فليس بين الدراسات الاجتماعية التي غدا التاريخ وثيق الصلة بها ما هو أشد لزوما للمؤرخ من علم الاقتصاد. نعم إن جميع المفكرين المسؤولين قد عدلوا عن العقيدة المسرفة التي صاغها ماركس وإنجلز والتي تفسر التاريخ تفسيرا اقتصاديا محضا، إلا أن المؤرخين معترفون بأن العوامل الاقتصادية لعبت دورا بارزا في جميع عصور النشوء الاجتماعي للعالم...ثم إن جميع الساسة مدركون أنّ الشؤون الاقتصادية قد عادت فأصبحت مرة أخرى في مقدمة المصالح الإنسانية، لذلك كان التاريخ الاقتصادي في الآونة الحاضرة دون غيره من فروع التاريخ محل اهتمام جمهور المؤرخين[42].

8/6-الجغرافيا دائما في خدمة البحث التاريخي: إذا كانت مدارس التاريخ تختلف في الرؤى، فإنها تتفق في كونها تعتمد على علوم مساعدة ومن هذه العلوم علم الجغرافية الذي ترتبط به فروعا أخرى مثل السكان والاقتصاد. إنّ التاريخ والجغرافية

40- فراسوا دوس، المرجع السابق، ص: 110. ينظر: شيماء الهكار، المرجع السابق، ص: 1. بتصرف.
41- شيماء الهكار، المرجع السابق، ص: 1.
42- ج.هرنشو، المرجع السابق، ص: 119.

متلازمان في الزمان والمكان، فإن كان التاريخ أحداث، فإنّ الجغرافية زمان ومكان تلك الأحداث، ممّا يؤدي إلى توجيه حياة البشر، هؤلاء الذين يتأثّرون بالبيئة الجغرافية ويصنعون التاريخ إيجابا وسلبا.[43]

و"منتسكيو" ربط بين البيئة وتشكيل الإقتصاد، ومن ثمّبين دور الأخير في صناعة التاريخ[44].ومنه؛ يبقى علم الجغرافيا أهم العلوم الملازمة والمساعدة لعلم التاريخ، حيث يبقى علم الجغرافية من بين العلوم التي أصابه التحول والتطور التام. فلم تعد الجغرافية علما أرضيا متصلا بالجيولوجيا، ولكن علما من علوم الإنسان يبحث في الإنسان من حيث علاقته بالمكان، ويتصل أصلا بالتاريخ الذي يبحث في الإنسان من حيث علاقته بالزمن. ومن ثم نمت الجغرافية التاريخية[45].وللتاريخ في الآونة الحاضرة، حليفان آخران هما الأنثروبولوجيا أي علم الإنسان، والأركيولوجيا؛ أي علم الآثار.

9/6-علاقة الأنتروبولوجيا بعلم التاريخ:

أما علم الإنسان فلم يبلغ علم من العلوم مبلغه في حمل المؤرخين على الإيمان بتلك الحقيقة العميقة الهامة للجنس الإنساني. فهذا العلم يتقاطع مع علم التاريخ في المجال المعرفي؛ حيث يشترك العِلمان في كثير من النقاط، سواء من حيث المنهج أو من حيث الهدف. إنّ عملية تجميع الحقائق التي يقوم بها الأنتربوجي تشبه عمل المؤرخ، فالتاريخ يشير إلى أشياء مختلفة، فهو يعني كل ما يستطيع الأنتروبولوجي أن يكشفه عن ماضي الشعوب التي يدرسها، وكذلك كل ما يتعلم من كتابات المؤرخين الذين عاصروا تلك الأحداث حول النظم الإجتماعية، فالأنتروبولوجي يهتم بوصف الأحداث والتعرف على الأسباب والعوامل التاريخية التي أسهمت في نشأة الظاهرة الحضارية وتكوينها، وهو

43- ميسوم بلقاسم، العلوم المساعدة للتاريخ"الجغرافية نموذجا"، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة بسكرة، حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 32، ج1/2018م،ص: 448. 'Annales de l universited Alger , volumme32,Numero 01, page 448

44-Denis de Casabianca, Montisquieu, de l' esprit des lois, anthologie, Flammation, 2013.

ينظر: ميسومبلقاسم، المرجع السابق، ص: 451

45- ج.هرنشو، المرجع السابق، ص: 120.

بذلك إنّما يستخدم مناهج البحوث التاريخية في المجتمعات التي يدرسها، وعلى ذلك فإنّ مناهج الأنتروبزلوجيا تكاد تكون متكاملة.[46]

10/6-علاقة علم الآثار بعلم التاريخ:

وأما علم الآثار فإنّه من ناحيته وسع توسيعا لا يدرك مداه تصور المؤرخين، لطول الزمن الذي نمى فيه المجتمع الإنساني. إن علم الاثار قلّب العديد من النّظريات وبيّن زيفها وقدم مساعدة للباحث في التاريخ وفصولا قيمة إلى علمنا بالتاريخ القديم[47]. فبفضل العلوم المساعدة أصبح البحث التاريخي على قدم المساواة مع بقية العلوم التي تحاول أن تجلو لعقل الإنسان معاني الأشياء كما هي[48].إن علم التاريخ قد شكل مجالا لإثارة عدة قضايا معرفية ترتبط بإمكانية معرفية تاريخية علمية موضوعية ممّا أستوجب عليه الإستعانة بمختلف العلوم المساعدة. إن توسيع آفاق المعرفة التاريخية لدى المؤرخ من شأنه الإرتقاء إلى مستوى المسألة الموضوعية[49]. لذلك فهو مطالب باكتساب مختلف العلوم المساعدة والتي يعتمدا كأحد المعايير ومنها كذلك:

11/6- علاقة علم الفلسفة بعلم التاريخ:

وقد وصل هذا التيار الفلسفي في التاريخ إلى قمّته في العصور الوسطية عند ابن خلدون. فأضحت الكتابة التاريخية منذ النصف الأول من القرن العشرين أكثر طلبا للعلوم المساعدة، الأمر الذي يفرض على المؤرخ تنويع مجالاته المعرفية والتاريخية. فالإستعانة بهذه العلوم يمكّنه من استقراء الوثائق، وتفسير وتحليل الظواهر، ممّا يساعده على الوصول أو الاقتراب ولو نسبيا من الحقيقة التاريخية. كما تطرح آراء ابن خلدون تحديات فكرية وفلسفية كثيرة أمام المؤرخ من خلال مؤلفه " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". هذا العنوان

46-حسن علي أبو زيان، العلوم الإنسانية وأزمة مناهجها المعاصرة، مع دراسة نقدية لأسسها وبنيتها اللا هوتية، مجلة الثقافة (وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، س16، العدد 96، ربيع الأول، ربيع الثاني 1407ه /نوفمبر سبتمر 1986م، ص: 63. ينظر: أوراغي أحمد، الأنتربولوجيا والتاريخ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية، ص: 217. Volume3, numero1, pp 217-224

47- ج، هرنشو، المرجع السابق، ص: 121

48- المرجع نفسه، ص: 121

49- قادة جليد، المعرفة التاريخية، المنطلقات والرهانات، صحيفة المثقف، العدد 5353، الإطلاع 2021/05/02م.

وخصوصا عبارة "ديوان المبتدأ والخبر" تدل بوضوح على ضرورة الإحاطة بكافة العلوم إذا أريد للتاريخ أن يفهم على حقيقته[50].

ويبدو أنّ ابن خلدون لا يلتفت إلى الحوادث المنفردة في زمن ما بل إلى الأحوال القائمة في ذلك الزمن، أو كأنه يقول له: لا تسأل، هل حدث هذا الأمر أم لا، بل اسأل، هل كان بالإمكان أن يحدث مثل هذا الأمر في مثل ذلك الزمان؟ والتمييز بين الممكن والمستحيل وبين الخطأ والصواب والذي لا تجده في رأي ابن خلدون إلا في العمران البشري الذي هو المقياس الذي يقاس عليه التاريخ[51].

ذلك مجمل حال التاريخ عند العرب نشوءا واكتمالا وهرما وانقطاعا؛ أما من حيث الطريقة العلمية التي اتبعوها فالتاريخ ابتداء عندهم فرعا من علم الحديث، فكان حريا أن يتأثر بطريقة المحدثين في جمع الرواية التاريخية ونقدها، فكان النقد عندهم، ذاتيا منصبا على الرواة، لا موضوعيا منصبا على المرويات[52].

12/6-علاقة علم التاريخ بعلم الإجتماع:

وجملة القول؛ لم يعد بالإمكان دراسة التاريخ وكتابة نصّه معزولا عمّا سواها، ولكنّه أصبح إحدى الدراسات يجمع بينها نسب واحد ويتألف من مجموعها علم عام هو علم الإجتماع. فاتصال البحث التاريخي بعلم الإجتماع واستخدامه كعلم من العلوم المساعدة يمكن المؤرخ من التقدير والتفسير والتحليل، وبالتالي يمكنه الجمع والتركيب بعد القدرة على معرفة الأوضاع العامة للمجتمعات التي كانت في علاقة سواء أساسية أو جانبية من الفترة أو الحوادث المراد دراستها. فقد ظّل "كارل لمبرختّ"[53]في القرن التاسع عشر يتصوّر التاريخ على أنّه فرع من فروع الإجتماع، وفي تقوية الحلقات التي تصل بين التاريخ وبين سائر فروع ذلك العلم.[54]

50- طريف الخالدي، المرجع السابق، ص 37.

51- المرجع نفسه، ص: 37.

52- ج.هرنشو، المرجع السابق، ص: 43.

53-كارل لامبرخت؛ هو مؤرخ ألماني، طالب بطريقة جديدة في كتاب التاريخ؛ تقوم على اتجاهات ثقافية واجتماعية ونفسية، أهم مؤلفاته منهج التاريخ الحضاري عام 1900م، ومحاضرات عديدة بعنوان "ما هو التاريخ" عام 1905م.

54-كارل لامبرخت: ar-freejournal,org/1975076/1/html.تنزيل: 2021/09/05م، نظر يوم: 2021/09/20م.

فالتاريخ من حيث هو فرع من علم الإجتماع فصلته وثيقة بها كعلم الإقتصاد والجغرافية، وعلم الآثار، فالحواجز التي كانت تحد من نطاق البحث التاريخي أخذت بالإنصرام شيئا فشيئا، حتى أصبح من القضايا المسلم بها أنّ جميع مناحي الحياة عبارة عن موضوعات داخلة في بحث المؤرخ واختصاصه. بل لقد أصبح من الثابت المحقق أنّه إذا لم تكن للمؤرخين فعلا هذه النظرة الواسعة الشاملة فإنهم لا محالة يعرضون علينا صورا ممسوخة مشوهة لكل عصر يحاولون تصويره[55].

7-على المؤرخ أن يكون ناقدا:

على المؤرخ الإلتزام بعقلية الناقد البعيد عن التعميم والسرد القصصي بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية ولو نسبيا، فهو يلتزم هذه العقلية كاستعانته بالعلوم المساعدة الأخرى. فالتاريخ كالقصة يتطلب نفسا طويلا فالأمور لها مقدمات وتطورات ولواحق. والقصة الجيّدة تتطلب سردا جيدا. كذلك الكتابة التاريخية والتي لا يمكن أن تكون مجرد سلسلة أحداث من الوقائع بل عليه أن يسرد هذه الوقائع، وأن يحللها ومن ثم يعقدها، أن يحبكها حبكا متقنا يسهل على القارئ الإستيعاب والفهم. والإنسان قصصي بطبعه لكن المؤرخ هو الذي يحمل القصة على محمل الجد[56]. وعليه يشترط في المؤرخ النباهة والذكاء وسعة الأفق حتى تكون له المقدرة على تفتيت الحدث التاريخي ثم نسج خيوطه ملتزما دوما بقواعد البحث العلمي من موضوعية وحيادية.

فالمؤرخ لا يمكن أن يقلّد الأسلوب القصصي في جميع الوجوه. فهناك قبل كل شئ العبارات التي تنم عن التحفظ والتي يجب على المؤرخ أن يستخدمه باستمرار ك"ربّما" و"لعلّ" و"حوالي" و"في بعض الأحيان" و"معظم" و"حوالي" و"غالبا" و"على الأرجح" و"البعض". وغيرها من التحفظات. وبالمقابل عليه أن يستعمل عبارات مثل "كلّ" و"كافة" و"أجمع" و"دائما" وغيره من التعميمات. وهذا الأسلوب التأريخي المتحفظ والدقيق لا يمكن استخدامه في القصص. فالتحفظ والدقة من صلب المنطق التاريخي. فالتحفظ مفروض فرضا على المؤرخ[57].

وإنطلاقا من أن التاريخ هو لون من ألوان المعرفة البشرية، فإن علاقة الباحث بموضوع البحث تأسس على صلة تفاعلية وثيقة فلا تضاهيها علاقات أخرى في ميادين

55- طريف الخالدي، المرجع السابق، ص: 68.
56- المرجع نفسه، ص 68.
57- نفسه، ص 69.

معرفية مغايرة. ولمّا كان التاريخ مفهوما حركيا قائما على صيرورة زمنية، فإن المؤرخ وهو كائن بشري لا يمكن أن يؤسس إلا معرفة تاريخية محددة في الزمان والمكان[58].

خاتمة:

لقد أضحت الكتابة التاريخية منذ النصف الأول من القرن العشرين أكثر طلبا للعلوم المساعدة، والتي تفرض على المؤرخ تنويع مجالاته ومداركه المعرفية التاريخية. فالاستعانة بهذه العلوم يمكّنه من الوصول إلى الوثائق وتفسير وتحليل الظواهر، ومنه الوصول أو الاقتراب من الحقيقة التاريخية ولو نسبيا. فلا يمكن لكاتب النص التاريخي(المؤرخ) أن يظل مسجونا ضمن لغة الأم، لأن ذلك سيُفَوت عليه الإطلاع على مجالات معرفية قد تساعد على إخراج النص التاريخي في أحسن ثوب.

وعلى المؤرخ أن يبتعد قد المستطاع عن أدلجة موقفه أثناء تحليل وتقديم النّص بالإبتعاد عن إعتقاداته ومواقفه الشخصية وأن يتجرّد من كل ميولاته السياسية، وأن لا يسقط في فخ السلطة التي تعمل ضمن إطار إستراتيجيات ثقافية وسياسية معينة...وأن يقصد من وراء البحث العلمي سوى تقديم الواقعة التاريخية وفق مصادرها مع إلتزام النقد لما يراه غير منطقي ولا عقلاني، وأن يصطحب في ذلك كل أساليب البحث لتحصين بحثه من العاطفة الجارفة أو التفاسير الكاذبة.

ونكاد نجزم أنّه يستحيل كتابة النّص التاريخي وفقا للشروط الموضوعية في ظل السلطة الوطنية، حيث يظل كاتب النّص موجها إيديولوجيا مراقبا فيما يكتب سياسيا. ومع ذلك يبقى دائما سؤالا يفرض نفسه، إلى أي حد، يمكن كتابة النص التاريخي وفق المقاييس العلمية والقواعد الموضوعية في ظل أدلجة النص التاريخي خدمة لتوجهات سياسية، في وقت تجتهد كل أمةلحماية خصوصياتها وإطارها الحضاري خوفا من الذوبان وفقدان خصوصياتها التاريخية؟؟؟

المصادر والمراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1999م، ج3.

58- جليلة الطريطر، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (بحث المرجعيات)، تونس: مركز النشر الجامعي/مؤسسة سعيدان2004م، ص 202. ينظر: جنات بلخن، نظرية السرد التاريخي عند بول ريكول، أطروحة ماجيستير في الفلسفة، 1431-1432هـ/2009-2010م، ص 75.

2- ابن العربي أبو بكر المالكي، العواصم من القواصم(في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، تح وتع: محب الدين الخطيب، القاهرة: مكتبة السنّة، الدر السلفية لنشر العلم، ط6،

3- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، تح: محمّد محي الدين عبد الحميد، لبنان: دار الفكر، ط5، 1393ه/1973م.

4-الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تح: دي خويه، لايدن، أبريل، 1879-1901م، السلسلة الأولى.

5- جليلة الطريطر، مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث(بحث المرجعيات)، تونس: مركز النشر الجامعي/مؤسسة سعيدان، 2004م.جنات بلخن، نظرية السرد التاريخي عند بول ريكول، أطروحة ماجستير في الفلسفة، 1431-1432ه/2009-2010م.

6 جميل صليبة، المعجم الفلسفي، د.ت، د.ط ، الجزء الثاني.

7-ج.هرنشو، علم التاريخ، ترجمه وعلّق حواشيه وأضاف إليه فصلا في التاريخ عند العرب: عبد الحميد العبادي، بيروت: دار الحداثة للطبعة والنشر والتوزيع ش.م.م. لبنان، ط2، 1982م.

8- شيماء الهكار، المعرفة التاريخية، امتدادات وتقاطعات، مجلة الإصلاح، منتدى الفارابي للدراسات والبدائل، 2013م، الإطلاع: 2012/05/01م.

9- طريف الخالدي، بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1982م.

10-عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، القاهرة: دار الشعب، د ط، 1950م.

11-عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1432ه/2011م، مج 1،

12-عبد النبي عبد الرسول، الأحمدي ذكري، موسوعة جامع العلوم، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997م

13- فرانسوا دوس، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة: محمّد الطاهر المنصوري، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009م.

14- قادة جليد، المعرفة التاريخية، المنطلقات والرهانات، صحيفة المثقف، العدد 5353، الإطلاع: 2021/05/02م.

15- محمّد المغراوي، المعرفة التاريخية، فيلو كلاب نادي الفلسفة.2021/05/14م. www.philo club.net

16-وليد المسعودي، مقدمة حول المعرفة التاريخية، الحوار المتمدن، العدد:4515، 2014/7/17م.اطلع عليه2021/05/13م.